الفصل الثالث

التربيـــة عنـد العـــرب

احوال العـــرب الثقافية :

كان العرب فى الجاهلية منزويين فى الجزيرة العـــربية ، يرهبـــون الفرس والروم ، ويقبلون طـــوعا أو كرها أن تخضـــع كثير من منـــاطق الجزيرة لنفوذ كسرى الفرس او نفوذ قيصر الـــروم وكانت نظرتهم لدولتى الفرس والروم نظرة رهبة واجلال ، عبر عنها عبد الرحمن بن عـــوف بقوله : « انها الروم وبنو الاصفر حد حديد وركن شديد » وعبرت عنهـــا « هنـــد » زوجة النعمان الخامس ملك الحيرة ، عندما ســـــالها المغيرة بن شعبه بعد الاسلام عن حال دولة أهلها فقالت : « أمسينا مساءا وليس فى الارض عربى الا وهو يرغب الينـــا ويرهبنـــا ، ثم أصـــبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه » .

وكانت نظرة الفرس والروم للعرب فى الجاهلية نظرة اســـتعلاء وترفع عبر عنها شهريران الملك الفـــارسى فى رســـالته التى ارسلها الى المثنى بن حارثه الشيبانى الذى قاد جيوش المسلمين لغزو فارس ، قـــال شهريران « انى قد بعثت اليك جندا من أهل فارس هم رعاة الدجـــــاج والخنازير ، ولست اقاتلك الا بهم » .

وقد نتج عن خضـــوع العـــرب فى الجاهلية لســـيطرة الدول الكبرى وقتئذ ان تأثر العرب بثقافات تلك الدول ونقلوا عنهم الكثير من عاداتـــهم وتقاليدهم بل وتعلم بعض العـــرب لغة الفرس والروم والاحباش .

ويقول جويدى فى كتابة « جزيرة العرب قبل الاسلام » ان شمال بلاد العرب تأثر بمدينة الفرس والروم وجنوب بلاد العرب تأثرا باليونان وكانوا مدينين لتلك الدول بكثير من رقيهم الذى حدث قبل الاسلام اذ أن العربكانوا قد انشاوا ـــ قبل الاسلام بقرنين او ثلاثة ـــ ممالك وتمرنوا على فنون الحرب وارتقوا فى حياتهم المدنيـــة ، ونشأ شعرهم وأدبهم ، وقد وردت فى أشـــعار

العرب الغرباء الفاظ آرامية « دمية » فقد كان أمراء الحيرة مقصدا لشعراء عرب الجزيرة ينفحونهم بالمال الكثير ، ليبشروا بهم ويدعو لهم بين البدو فى انحاء الجزيرة ، ولما كان العرب يحتقرون العمل فى الزراعة اعتمدوا على الاراميين ، فدخلت لغتهم الفاظ آرامية كثيرة منها : الاكار — الحرث — النير — الناطور — الفدان — وكثير من أسماء النباتات والرياحين جاءت قبل الاسلام من لغات غير عربية ومنها — الزيتون — قنديل — سراج — ببراسى ، ومثل اتون — تنور — فرن ، ، وكذلك : القميص السربال — البرنس — المرجان — الجمان — الزبرجد — الدره . ودخلت كذلك الفاظ رومية وحبشية مثل اسطول — انجر — نوتى ، وسفينة — قارب — ربان — ملاح — قلع — سكان — مجداف صارى ، ومن الحبشة الفاظ : بحر — شراع — مرسى .

وقد كان لعرب الحيرة وأمرائهم وتاريخهم أثر كبير فى الأدب العربى والحياة العقلية للعرب عامة فأحاديث جذيمة الابرش واساطير الزباء ، والخورنق والسدير والتغنى بهما وبعظمتها والاقاصيص حول سنمار بانى الخورنق ، والامثال التى ضربت فيه ، ويوم النعمان : يوم نعيمه ويوم بؤسه كل هذه القصص والاحداث والامثال التى ضربت لها شغلت جزءا كبيرا من الأدب العربى وكلها تتعلق بامارة الحيرة التابعة للروم وحياتهم .

ويرى « أحمد أمين » — صاحب كتاب فجر الاسلام — أن عرب الحيرة تسرب اليهم شىء من علوم اليونان وآدابهم ، ذلك ان الحكومة الفارسية فى عهد « هرمز الاول » انشأت مستعمرات كونتها من اسرى الحرب الرومانيين ، وكان من بين هؤلاء الاسرى من ثقف بالثقافة والطب ، فاستخدموه فى مهام شئونهم ومن هؤلاء الاسرى من نزلوا الحيرة . وأهل الحيرة كانوا يكتبون وقد تعلموا الخط العربى من قبيلة اياد واصلها من تهامه فى أرض الجزيرة . نزلت الى بلاد العراق فكانوا يشتون فيها ويصيفون فى الجزيرة ، ولما كانت أياد على جانب من الحضارة فقد استفاد منهم عرب الحيرة وهم استفادوا من اختلاطهم بالفرس والروم ويقال أن قبيلة اياد القديمة هم وضعوا حروف الأبجدية العربية وعنهم أخذت العرب الكتابة

وكان من اياد « لقيط بن يعمر الايادى » كاتب كسرى وترجمانه بالعربية ، وكان « عـــدى بن زيد » من أهـل الحـــيرة من تراجمة « أبرويز » ملك الفرس وكان أول من كتب بالعربية فى ديوان فارس ، واصبح من كتـــاب الوحى للرسول عليه الصلاة والسلام بعد الاسلام • وتعلم الكتابة من أياد حرب بن أمية ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهره ومنهم انتقلت الكتابـــة الى قبيلة قريش بمكة ، وتعلم بشر بن عبد الملك الكندى الخط العربى فى الانبار بالعراق . وخرج الى مكة فعلم الخط سفيان بن حرب ثم تعلمه معاوية من عمه سفيان ، وقيل أن أول من كتب بالعربية فى جزيرة العرب « مرارة بن مرة » من اهل الانبار ، وقيل أن « ورقة بن نوفل » كان يكتب العربية ويجيدها وكان « سعد بن الربيع » يكتب بالعربية فى الجاهلية ومن هـــؤلاء انتشرت الكتابة فى قريش • قال الاصمعى : زعموا أن قريشا سـئلوا : من اين لكم الكتابة ؟ فقالوا من الحيرة . وقيل لاهل الحيرة : من اين لكـــــم الكتابة ؟ فقالوا من الانبار .

تأثر ثقافة العرب بالثقافات المجاورة :

١ — ان الجزيرة العربية فضلا عن موقعها المتوسط من بلدان العالم ، فقد خص الله مكة بالبيت الحرام الذى أقامه ابراهيم عليه الســـلام ، فكان يحج اليه العرب اولاد اسماعيل الذين تفرقوا فى البلـــــدان المجاورة بعد أن ضاقت بهم الارض فى مكة •

وكان هؤلاء العرب من بلاد الحيرة والشام والعراق والبحرين واليمن وغيرها ينقلون معهم فى مواسم الحجيج عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم الى عرب الحجاز •

٢ — ان الجزيرة العربية كانت طريقا للقوافل التجارية القادمة من الشمال والجنوب حاملة تجارة الهند والصين ، والفرس والروم ، وكانت هذه القوافل تحمل معها ثقافتها المتنوعة التى تأثر بها العرب وخاصة فى بلاد الحجاز .

٣ ـ أن الحياة الامنة المستقرة فى بلاد الحجاز وخاصة فى مكة كثيرا ما كانت تجذب الطوائف المهاجرة من الدول المجاورة والتى فرت من اضطهاد الحكام والروم بسبب الاضهاد الدينى وكانت غالبيتهم من الرومان المسيحيين واليونان الفلاسفة المعلمين وبعضهم من الفـــرس ممن لهم دراية بالحـــرف اليدوية والتعليمية فوفدوا الى مكة لكسب الرزق والاشتغال بمهنة التعليم وقـــد تعايش هؤلاء مع طبقـــة الســـادة من قريش وغيرها من القبائل العربية يعلمون ابناء العرب او يشتغلون بالحرف اليدوية فاندمجوا مع العرب وانصهرت فيهم ثقافتهم وعاداتهم بل دخل بعض العرب فى ديانتهم ٠

٤ ـ ان الحياة القاسية فى مكة فهى واد غير ذى زرع جعل العرب يشتغلون بالتجارة ، وتبعا لمركز مكة التجارى فى العالم كان للعـــرب صـــلة بسائر الدول المعاصرة وكان لقريش رحلتان تجاريتان فى الصـــيف والشتاء جاء ذكرهما فى القرآن الكريم ، فاحتك العرب خـــلال رحلاتهم التجارية بغيرهم من العـرب والاحبـاش والفـــرس والروم والهنود والصينيين ، فنقل العرب بعض حضارة وثقافة هـــذه الأمم بل وطرق تفكيرهم وتربيتهم وأفكارهم ، كما تأثروا باخلاقياتهم فاكتسبوا بعض عاداتهم وقيمهم ٠

ومن بعض الافكار والعادات والاخلاقيات التى انتقلت الى العـــرب ونقلوها بالتربية لابنائهم ما يلى :

(أ) نقل العرب عن اليونان اهتمامهم بتربية ابناءهم تربية عسكرية فتعلم العرب الرمى بالســـهام والرماح والنبال والمصـــارعة وغرسوا فى أولادهم حب المقاتلة من أجـــل الدفاع عن النفس وحمـــاية القبيلة من غارات الاعداء وهجوم القبائل البدوية الاخرى الذين يبغـــــون السطو للسلب والنهب وخاصة وقت ظروف المجاعات وايام القحط والجفاف ٠

كما تأثر العرب بفلسفة وفكر افلاطون فاحتقروا الأعمال اليدوية واعتقدوا ان فى الحرف العملية مذلة ومهانة وبينما فى التجارة وركوب

الخيل اعزاز وكرامة فاشتغل السادة العرب بالتجارة وتركوا الاعمال الحرفية للموالى والعبيد والطوائف المهاجرة من الدول المجاورة ٠

(ب) نقل العرب عن الرومان واليونان اهتمامهم بفن البلاغة والفصاحة واقبل العرب على تعلم الشعر والخطابة معتقدين أنه طريق الشهرة والصيت البعيد ، وقد ساعد العرب على تمام الشعر والخطابة قوة الحافظة التى عرفوا بها ، ومن خلال الشعر انتقل الى العرب معارف أخرى واسعة فى اللغة والعلوم النظرية كعلم التاريخ والانساب، والأخلاقيات مثل المروءة والشجاعة والكرم والوفاء والشهامة فنقل العرب الى أبنائهم تاريخهم وقصص أبطالهم عن طريق الشعر ، فالشعر أسهل فى الحفظ وأيسر رواية على الذاكرة وابقى تعلقا بالخاطر ٠

(جـ) نقل العرب عن اليونان والرومان وسائل التربية الخلقية ، فبالاضافة الى تعليم الفرد فى الاسرة الشعر والبيان والحكم والامثال والوصايا ، كان الغلمان يلزمون الاستماع لاحاديث الرجال والشيوخ فى الطرقات والاسواق والمنتديات يتعلمون منهم كل ما ينمى مداركهم ويعودهم الامانة والطاعة وضبط النفس واحترام الآراء وتوقير الشيوخ ، ولا غرو فقد كان الشيوخ هم رؤساء العشائر ، وهم المربون والمعلمون والقضاة وحملة العرف والتقاليد ، وكان يجتمع بعض الغلمان فى دار الندوة التى كانت يجتمع فيها الشيوخ لدراسة شئون القبيلة وبحث مشكلاتها ويتخذ فيها قرارات الحرب ٠ فيخصص وقت لمناقشة الغلمان فى المسامرات التى تهدف الى التربية العقلية فيلقى عليهم شيخهم بعض الأسئلة لاختبار مواهبهم العقلية والتى تمرن فيهم قوة الحكم وتدعوهم الى التدخل فى أدراك شئون بلدهم العامة ويكلفهم بالاجابة وذكر الأسباب والبراهين بعبارات مختصرة جلية ٠

وكانت الأسواق أيضا من وسائل التربية فكما كان سقراط الفيلسوف اليونانى يجوب الاسواق لتعليم العامة ، كان العرب فى الجاهلية يعرضون شعرهم وخطبهم فى سوق عكاظ ، ويلقن فيها غلمانهم قصص الاسلاف ويحكى فيها عن حروبهم لتخليد نصرهم

وأبطالهم ويتعلم فيها الشباب والغلمان الخصال الحميدة والقيم الخلقية المرغوبة ، وممن حضر سوق عكاظ ، « النابغة الذبيانى » وكان يعرض عليه الشعراء مؤلفاتهم ليحتكموا برأيه لما لرأيه من أثر فى الناس، ووفد الى عكاظ أيضا «الأعشى» «وحسان بن ثابت» الذى أصبح فيمابعد شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام . « والخنساء وعمرو بن كلثوم » والخطيب الجاهلى «قس بن ساعده» الذى كان يخطب فى الناس ويعظهم بمن كان قبلهم من الامم ويأمرهم بفعل الخير . وكان الاهالى يصطحبون صغارهم الى عكاظ فيتعلمون ويتذكرون فضلا عما كان يترتب على ذلك من تنقيح لغتهم وتدريبهم على البلاغة وطلاقة اللسان والبيان وقد ذكر الالوسى كثيرا من أسواق العرب ، ومواقيتها باعتبارها وسائط للتربية . وكانت الاسرة تثير غيرة ابنائها على اتقان الشعر منذ الطفولة وتحرضهم على نظمه وقد ساعدهم استعدادهم الفطرى على ذلك ؛ ومن لم تتفتق قريحته فى سن الشباب للشعر يعتبر ذلك عيبا على أهله .

(د) أخذ العرب عن اليونان النظم المرعية عندهم فى التربية الخلقية فكان يختار كل رجل من رجال المدينة غلاما يتبناه ويلازمه فى كل حركاته وسكناته واعماله يبث فيه ما شاء من الاخلاق والفضيلة ويناصره اذا اشتبك فى قتال أو نزال ويعاضده فى كل تصرفاته . وقال « بلوتارخ » فى ترجمة حياة « ليكوغورس » : كانت هذه الصلة التى بين الرجال والغلمان صلة شريفة برئية من كل وصمة تدنسها ، وكان لها محل رفيع ومنزلة سامية بين سكان المدينة .. وكان الرجل اذا أحب غلاما فتبناه واتخذه خليلا ورفيقا ؛ عد شريكا له فيما يناله من خير وشر ، وكان العرب فى الجاهلية يقرون التبنى ، فكان الرجل اذا اعجبه غلام لظرفه وذكائه ووسامته ضمه الى أسرته ونسبه الى اسمه وجعل له من ميراثه نصيب الذكر من أولاده وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قبل نزول الوحى قد اعجبه زيد بن حارثه الغلام الذى اشترته السيدة خديجة من سوق عكاظ فوهبته الى الرسول فتبناه وأطلق عليه زيد بن محمد » حتى نزلت الآية الكريمة التى يأمر الله

فيها بأن يدعى الابناء المتبنيون باسماء آبائهم الاصليين فى قوله تعالى :
« ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » (١) .

(هـ) نقل العرب عن الروم تعدد الالهة فقد اتخذ الروم من الشعائر الدينية التى تقام فى المنازل وفى الاماكن العامة ، وسيلة من وسائل التربية والتهذيب وكان الروم قبل اعتناق المسيحية يدينون بأن لكل عمل فى الحياة اله خاص به يتولاه ويشرف عليه . فللحرث اله وللبذر اله وللحصاد اله .. وهكذا ، وكل اله لابد من استرضائه واستعطافه وتقديم القرابين اليه ، وكان « المشترى » أعظم الالهة عندهم ويمثل الرجولة الرومية ، وكانت الالهة « جونو » تمثل الانوثة ، وكان « المريخ » ثانى آلهتهم فى العظمة له سيطرة على الحروب . ونقل العرب عن الروم عبادة الكواكب، ويحدثنا « صاعد » فى طبقات الأمم عن معبودات العرب فقال : كانت قبيلة أسد تعبد عطارد ، وقبيلة طيء تعبد سهيلا ، وقبيلة قيس تعبد الشعرى ، وقبيلة جذام تعبد المشترى ، وقبيلة حمير تعبد الشمس ، وقبيلة نسيم تعبد الدبران ، وقبيلة كنانة تعبد القمر .

(و) نقل العرب عن اليونان وخاصة الاسبرطيين عادة وأد البنات وقتل الأولاد الضعاف أو غير الاسوياء حيث دعت ظروف أسبرطة الى الاقتصار على التربية العسكرية فكانت حاجتها الى الابناء الذكور وتكريم الاباء الذين ينجبون ذكورا ويقدمونهم الى الدولة لتقوم على تربيتهم وتدريبهم على فنون الحرب والقتال ما دعى بعض الاباء يشعرون بالخزى والعار اذا انجبوا اناثا ، كما ان العرف والقانون الاسبرطى قد سمح بقتل الابناء غير الاسوياء أو الضعفاء منذ ميلادهم حتى لا يكونوا عبئا على الدولة حيث انها تبعا لنظامها العسكرى وما يتطلبه من نوع معين من التربية يكون هؤلاء الأبناء غير ذى نفع للمجتمع

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٥ .

وقد نقلت بعض القبائل العربية مثل هذا العرف فتفشى بين هـذه القبائل عادة وأد البنات أحياء وقتل الاولاد الضعاف خوفا من الفقر .

(ز) أخذ العـرب فى الجاهلية عن اليـونان بعض علومهم والتى اشتملت على دراسة الأدب والشعر من القصـة التى تعـلم الفضيلة والشجاعة الى جانب القصص الهزلية والخرافية التى تنمى الخيال . وعلم تاريخ سير الابطال والعظماء . كما تعلموا عنهم الفلك والجغرافيا كما نقلوا عن الرومان علم الكلام والبلاغة وفن الخطابة والمناظرة . وقد اعتمدوا على الذاكرة فى حفظ هذه العلوم .

(ح) نقل العرب عن الرومان استخدام العبيد والموالى فى تعليم ابنائهـم فقد جرت العادة أن يستعين أثرياء العرب بالمربين الخصوصين لتربية الابناء وتأديبهم فى البيوت أو قصور الحكام مفضلين ذلك على ارسـال ابنائهم الى الكتاتيب العامة وكان المربى الرومانى « كوينتليان » قد عزز هذا النظام وادرك بعض مزاياه . فالمرب الخـاص يستطيع أن يوجه كل اهتمامه الى الطفل . كما أن الطفل قد يحقق تقدما ملموسا فى وقت قصير على يد معلم خاص . فانتشر بين العرب عادة تعليـم الابناء على يد مرب خاص فى بيوت الاسرة .

معرفة العرب بالقـراءة والكتابة :

عرف بعض العرب القراءة والكتابة وخاصـة من اشتغل منهم بالتجارة؛ ومعرفة العرب بالقراءة والكتابة لا يعنى شيوعها وانتشارها شأنهم فى ذلك شأن كل المجتمعات حيث تختلف نسبة المتعلمين الى الأميين بين مجتمع وآخر حتى فى اكثر المجتمعات تقدما .

ومما يدل على معرفة العـرب بالقراءة والكتابة ما جاء فى قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله »(١).

---

(١) سورة البقرة : آية ٧٩ .

وقوله تعالى :

« وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا » (١).

وقوله تعالى :

« لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه » (٢) .

وقوله تعالى :

« ن والقلم وما يسطرون » (٣)

ويؤكد المؤرخ الايطالى المستشرق « البرنس كايتانى » فى كتابه عن نشأة الخط العربى ان الكتابة العربية كانت رائجة فى الجزيرة العربية والشام قبل البعثة المحمدية بكثير ، وتدل على ذلك النقوش والوثائق الخطية التى تم اكتشافها فى تلك البلاد .

ومن أهم القبائل التى اشتهرت بالقراءة والكتابة قبيلة بدر ووبر وثقيف، بل ذهب العرب الى أكثر من ذلك فعرفوا علوم اللغة العربية وقواعدها وعروضها . ويدل على ذلك نبوغهم فى الشعر واتباع قواعده . وقد كانت القبائل العربية تدون آثارها الادبية ، فقد كان هناك كتب ادبية تحمل كل منها اسم قبيلة معينة تضم اخبارها وآثارها مثل « كتاب قريش » وكتاب « ثقيف » .

ولما كان العرب يشتغلون بالتجارة فكانوا يدونون حساباتهم وديونهم فى صكوك حتى لا يضيع حق أحد .

قال تعالى :

« يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل .... » (٤) .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٥ .
(٢) سورة الاسراء : آية ٩٣ .
(٣) سورة القلم : آية ١ .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

وكان العرب فى تعاهداتهم السياسية والحربية والتجارية يعتمدون على عهود ومواثيق وعقود وأحلاف مكتوبة درءا لما يسببه النسيان لها أو الرجوع فيها من اختلاف أو تنازع . ومن أشهر العقود والمواثيق « صحيفة قريش » التى كتبت بعد أن رفض بنو هاشم وبنو المطلب أن يسلموا محمدا لكفار قريش ليقتلوه . وتعاهد الكفار فى هذه الصحيفة الا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يدعو سببا من أسباب الرزق تصل اليهم .. حتى يسلموا لهم رسول الله ، وعلقوا هذه الصحيفة فى جوف الكعبة ليقراها الشارد والوارد .

ولا يفوتنا أن بعض العرب من اليهود والنصارى لهم كتب سماوية تشرح لهم تعاليم دينهم وتبين لهم أحكامه وقد استلزم تعلمها ونقلها الى الابناء نسخ كثير من الكتب الدينية وتطلب ذلك تعليم الاطفال القراءة والكتابة والخط فى الكنائس والاديرة والكتاتيب . ويقول المقريزى فى كتاب « امتاع الاسماع » ان المسلمين بعد فتح خيبر وجدوا مصاحف فيها توراة نجمعوها ثم ارجعوها لليهود .

نظام التربية عند العرب :

ينقسم العرب الجاهليون « قسمين : بدو ، حضر . اما البدو فأقوام رحل يقطنون بيوتا من الشعر ، ويعيشون من ماشيتهم فيتغذون بلحومها والبانها ، ويتخذون من اصوافها ووبرها أثاثا ومتاعا ، ويسكنون الصحارى والقفار ويرحلون وراء العشب والمياه . اشتغل بعضهم بالرعى والبعض الاخر بالتجارة نظرا لقسوة البيئة فى أرض الجزيرة العربية وخاصة فى مكة لعدم توفر الموارد الرئيسية اللازمة للعمل فى حرفة الزراعة .

أما العرب من الحضر فقد كان لهم مدن عظيمة ولهم ملوك واقيال فتحوا البلاد واوغلوا فى الارض واستولوا على كثير من اقطارها شرقا وغربا وكانت لهم قوانين موضوعة وشرائع مسنونة ، وعلوم وفنون مدونة فى الكتب ، ومدارس ومعاهد للتعليم ، ومن اكثر الامم العربية شأنا فى التربية وارسخها فى المدنية قدما تلك هى دولة المماليق فى العراق .

وقد كانت التربية عند أهل البوادى من العرب الجاهليين تختلف فى نظمها وطرائقها عند أهل الحضر منهم . وسوف نقتصر على دراسة التربية

عند العرب البدو نظرا لانها الأمة التى ينتمى اليها الرسول ، وعلى ارضهم نزل القرآن الكريم .

اهداف التربية :

كانت التربية عند عرب الجزيرة ترمى الى أغراض متنوعة منها :

أ — اعداد النشىء لتحصيل ما هو ضرورى لحفظ الحياة والبقاء .

ب — اكتساب الابناء قيم العشيرة والخصال الحميدة التى اشتهر بها العرب.

حـ — اكساب الفرد عادات القبيلة وتقاليدها والسير بمقتضى اعرافهـــا وشريعتها .

د — تعليم فنون الحـرب والقتال والمنازلة للدفاع عن النفس وعن القبيلة .

وسـائط التربية :

كانت الاسرة أهم وسائط التربية عند عرب الجاهلية وقد تشاركها فى ذلك العشيرة التى يجمع بين افرادها أواصر النسب وروابط القرابة ، فكـان الفرد يأخذ عن اسرته وعشيرته طرقها الخاصة فى كسب العيش ، ويتعرف منها اساليب الدفاع عن النفس وطرق الاغارة على الاعداء ، وفنون الاعمال والصناعات وأن لم تبلغ شأوا بعيدا فى المدنية والتقدم الا أنها كانت متعددة ومتنوعة منها الصيد والقنص واعداد آلات الحرب وعمل الانية ودبـــغ الجلود وحياكة الملابس ورعى المـاشية وتربيتها وغيرها .

كذلك كانت الاسرة أو العشيرة اهم وسائط تحصيل الاخلاق الفاضـلة فكان الناشئة يأخذون عن آبائهم وأبطال عشيرتهم القيم الخلقية السائدة مثل الشجاعة والاقدام ويتعلمون منهم الكرم والوفاء والمروءة والنجـدة والغيرة وغيرها من الفضائل التى اشتهر بها العرب وعرفوا بها بين الامم .

أما العلوم والمعارف فكان لهم فى كثير منها قدم راسخة ، فقد نبـــغ العرب فى الشعر والخطابة وعلم اللغة العربية وعلم الانساب وعلم وصـف الارض ، ووصلوا الى غايات بعيدة فى علوم النجوم والطب والكهانة والعيافة والقيافة والزجر والفراسة .

حذق العرب هذه العلوم دون أن يتدارسوها فى المدارس أو يقرءوها فى الكتب بل كانوا يتناقلونها من الاباء الى الابناء شـــفاهة ؛ وقد تجمعت فى ذاكرتهم من السلف الى الخلف نظرا لقوة حافظتهم وسلامة ذاكرتهم فتناقلت العلوم والمعارف من جيل الى جيل بالرواية والسمع .

والى جانب الأسرة كأهم وسـائط التربية كان للعـرب فى الجـاهلية أسواق ومجالس للعلوم والاداب تشبه فى كثير من الوجوه الانديـــة اللغوية والمجامع العلمية التى للامم المتمدينة لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث فى الشئون العامة وكانوا يسمونها الاندية مثل دار ندوة قريش .

كما كانت الأسواق تعـد أماكن للتعليم الى جانب كونها أماكن للبيـع والشراء فقد كان العرب يحضرون الاسواق ينشدون بين الناس الشـــعر ويلقون الخطب ويتحاكمون الى قضاة أو حكام نصبوا أنفسهم لنقـد الشعر وبيان غثة من ثمينه فكانت بذلك من أكبر معاهد التربية العالية عنـد العرب ومن أشهر هذه الاسواق ـ سوق عكاظ قرب الطائف ، وسوق مجنة بالقرب من مكة ، وسوق ذو المجـــاز على بعد فرســـخ من عرفه ـ وكان العـــرب يغتنمون فرصة اجتماعاتهم فى الأسواق فيتباحثون ويتناظرون ويتبادلون الاراء والافكار ويفكرون فى شئونهم ومصالحهم العامة ويتبارون فى عرض أشعارهم .

فكانت الأسواق الادبية عند العـرب تعد خير وسيلة للنهوض باللغـة وتهذيبها وترقية الافكار ، وشحذ الاذهان الى جانب بيـع ما لديهم وشراء ما يحتاجون اليه .

وتعتبر الكنائس والاديرة وكتاتيب اليهود من اهم وسائط التربية التى كانت تستخدم كمعهد تعليمى للاطفال والغلمان يتعلمون فيه الخط والقراءة والكتابة الى جانب التعليم الدينى .

طرق التربية واساليبها :

لم يكن للعرب البدو فى الجاهلية طرائق منظمة أو مقصودة فى التربية بل كانت طريقة التعليم يفرضها الموقف التعليمى الذى يمر به الفرد فى حياته

اليومية ، فقد يتطلب استخدام القصص ليتعلم الابناء عن طريق العظات ، أو استخدام الحكمة ليقتدى بها الابناء فى سلوكهم ، أو سماع مناظرة علمية أو مباراة شعرية فى الأسواق ، لتنمية الطلاقة اللفظية وحسن التعبير بعبارات موزونة ودقة التفكير وغيرها ، أو عن طريق الملاحظة والمشـــاهدة والتأمل أو عن طريق التقليد والممارسة وقد كان الاسلوب اللفظى أو التعليم شـــفاهه عن طريق المحاكاة اللسانية والانصات التام ، وكذلك عن طريق التقليد .

فالعلوم الفكرية والنظرية من آداب واخلاقيات ومعارف ونصائح وعظات ووصايا وتوجيهات ، كان يتعلمها الأبناء بالتلقين من الأباء والأمهات وذوى العقول الراجحة من الاقارب ورؤساء العشائر ، أما الشـــعر والخطابة وما يتدبرونه فيهما من المعانى السامية والافكار المبتكرة والقيم التى تهدف اليهـــا والاخيلة الدقيقة التى تدل عليها ، كل هذا يتعلمه الابناء عن طريق المحاكاة شفاهة ، وهو يعرف عند العرب بالتربية اللسانية التى تهدف الى تعـــويد الفرد حسن التعبير مع دقة التفكير والارتجال فى الخطابة ، والاقناع فى لمناظرة والمناقشة والمجادلة . اما من اتيحت له من الابناء فرصة تعلم القراءة والكتابة فيكون له ميزة تعلم الفصاحة والبلاغة وجودة التعبير بالقلم واللسان معا .

أما بالنسبة للاعمال اليومية وألوان السلوك فكان الابن أو الابنـــة يتعلمها عندما يخالط أبويه وذوى قرابته واهل عشيرته فى حلهم وترحالهـــم وطعامهم وشرابهم ، وجدهم وهزلهم ، وحربهم وسلمهم ، وسمرهم وندواتهم وفى كل وجه من وجوه أعمالهم ، يلحظ الابن ما يقومون به من أعمال وافعال وعادات وقيم فيعمل بالمشاركة على تقليدهم والاقتداء بهم ، فيشب مكتسبا عاداتهم بعد أن تنتقل اليه طبائعهم وطريقة معيشتهم بالتعود والتقليد فتصدر عنه افعالهم . وقد جاء فى القرآن الكريم ما يدل على انتقال الافكار والقيـــم والعادات والاتجاهات من الاباء الى الابناء عن طريق التقليد والاقتداء . فى قوله تعالى :

« وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انـــا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثرهم مقتدون » (١) .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٢٣ .

وقد اشتمل منهج التعليم غير النظامى الذى اصطلحت عليه الاسرة أو العشيرة على الرواية والوصـــايا والحكم والعظـات المستمدة من القصص واللغة القومية ، وكثير ما يستخدم الشـعر فى التربية الخلقية والفكرية لسهولة حفظه فى الذاكرة نظرا لارزانه الموسيقية وعباراته المنمقة وقافيته المؤثرة فى النفس والوجدان .

ومن أمثلة الشعر الذى يستخدم لتعليم بعض القيم الخلقية : شـعر المثقب العبدى — الذى يعد من نماذج الشعر الاخلاقى فهو يهدف الى بث الفضائل والصفات الطيبة فى نفوس الابناء وتوجيه سلوكهم .

اكرم الجـار وارعى حقـــه ان عرفان الفتى الحق كـــرم
لا ترانى راتعـــا فى مجلس فى لـوم الناس كالسبع الضرم
ان شر النـــاس من يكثر لى حين يلقانى وان غبت شـــتم

وللام البدوية فى الجاهلية كل الاثر فى تربية ابنائها وبناتها وتوجيههـم فى كل خطوات حياتهم ، واليك وصية زودت بها أم عربية أبنها يوم سفره :

« ... اى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين، اياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا ، وخليق الا يثبت الغرض على كثـرة السهام ... واياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، واذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤه ، ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فـــان المرء لا يرى عيب نفسه » .

وفى وصية اسماء بنت خارجه لابنتها ليلة زفافها ما يدل على حســن التوجيه وسديد التعليم والحكمة البالغة حين تقول :

« .. انك خرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فكونى له أرضا يكن لك سماء ، وكونى له مهـادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحفى به فيقلاك ، ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربى منـه ، وأن نأى فابعـدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا » .

واوصى رجل ابنه فى الجاهلية وهو يحتضر فقال :

« يابنى اباك قد فنى وهو حـــى ، وعاش حتى سئم العيش وانى ما موصيك بما ان حفظته ، بلغت فى قومك ما بلغته ، الن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يســودوك واكــرم صــغارهم ، وأســمح بمالك ، وأعزز جارك ، واعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك » .

والى جانب الشعر والوصايا كان للحكم والأمثال دور كبير فى تعليم الابناء فقد ذاع استخدامها فى البيئة الجاهلية حيث تشتد فيها الحاجة الى خلاصات التجارب لينتفع بها الصغار ويسيرون على هديها .

والامثال ليست الا خلاصات لهذه التجارب صدرت فى اكثر حالاتها عن ذكاء ودقة ملاحظة ونفاذ بصيرة فى عبارة موجزة تلقى عقب حادثة ما ، تلخص نتائج الموقف أو استخلاص العبـــرة منه فتتلقفها الألسنة فتذيع وتنتشر وتصبح مثلا يلقى فى كل موقف مشابه للموقف الذى سيقت فيه العبارة أول ما سيقت . وكلما كانت العبارة الموجزة تتميز بدقة التشبيه وحسن التعبير عن الموقف الذى قيلت فيه كان ذلك سر ذيوعها كمثل .

وكان للعرب كثيرا من الامثال التى ارتبطت بمظاهر الطبيعة او اشخاص اشتهروا بصفات احبها العرب او كرهوها ، ومنها ما ارتبط بواقعة معينة .

ومن الامثال التى ارتبطت باشخاص :

« اجود من حاتم » و « أبخل من ماذر » .

ومن الامثال التى ارتبطت بوقائع وأحداث معينة .

« قطعت جهيزة قول كل خطيب » ، « عنـــد جهينة الخبر اليقين » ، « ومكره أخاك لا بطل » .

ومن الامثال التى ارتبطت بمظاهر الطبيعة :

« أعدى من قطاه » ، « هو أشبه به من التمرة بالتمرة » « أظمأ من رمل » . « أعقد من ذنب الضب » .

ومن الامثلة التى ارتبطت بقصة خيالية أو حكاية رمزية على السنة الطير أو الحيوان :

« كيف أعاودك وهذا اثر فأسك » .

والحكم التى اشتهر بها العرب لا ترتبط فى اساسها بحادثة أو قصة وانما تصدر عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها فهى قول موجز ايضا صائب الفكرة ، دقيق التعبير ، ولكنه يحمل توجيها الى جوانب السلوك ، ويتحرى فيه قائله غالبا الخير والسداد . ومن أمثلة الحكم :

« رب عجلة تهب ريثا » ، « آفة الراى الهوى » ؛ « خير الموت تحت ظلال السيوف ، « رضا الناس غاية لا تدرك » .

ومن التعرف على علوم العرب ونظام تربيتهم يتبين لنا أن عرب الجزيرة قد عنوا بتربية أولادهم تربية عقلية وخلقية وجسمية بما يناسب البيئة الطبيعية والفطرة الانسانية وقد وهبهم الله سلامة الفطرة وقوة الذاكرة وفصاحة اللسان ونفاذ البصيرة وقوة الملاحظة فأجادوا علومهم وكان لهم اكبر الاثر فى الحضارة الاسلامية بعد ظهور الاسلام .

العلوم عند العرب :

كان العرب معظمهم فى الجاهلية يتناقلون أخبارهم وسيرهم مروية على لسان روائهم وهى محفوظة فى ذاكرتهم ، وكان عامة المروى من أخبار العرب وتاريخهم وسيرهم ووصف أحوالهم وذكر حروبهم وسير ملوكهم وملوك غيرهم عن طريق الشعر والنثر وكان لا يحفظ هذه الوديعة الا أهل الحفاظ عليها من فصحاء العرب وهم الشعراء والمتأدبون ومن هؤلاء الرواه امرؤ القيس وزهير بن ابى سلمى ، والأعشى .

واشتهر من قبيلة قريش اربعة رواه هم مخرمة بن نوفل ، وابو الجهم ابن حزيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبى طالب ولم يكن للعرب فى الجاهلية كتب مدونة فيها أخبارهم وسيرهم وأنسابهم بل كان يحفظها الرواه فى ذاكرتهم لما وهبهم الله من قوة الحافظة (الذاكرة) فقد اعتمد العرب فى ضبط علومهم وآدابهم ونقلها من جيل الى جيل على الحفظ والرواية. كما اعتمدوا على ذاكرتهم فى تسجيل انسابهم التى كانوا يعنون بها عناية شديدة ، وفى تداول مفاخرهم وأيامهم ومثالب أعدائهم . وحين ندرك هذه الحالة الاجتماعية للعرب نفهم كيف كان فيهم ذوو القوة النادرة فى الحفظ وكانت هذه السجلات الحية والكتب البشرية تحوى علوم العرب فى الجاهلية ومنها :

علم الانساب ، وعلم الاخبار ، وقرض الشعر ، وعلم النجوم ، ووصف الأرض ، والفراسة ، والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر وعلم الطب الضرورى .

ولما كان البدو فى الجاهلية يمقتون الصناعات فلا غنى لهم عن علم يرشدهم الى ما ينفعهم ليعرفوا متى تجود السماء وبم يتميز الاقرباء من البعداء

وكان ذلك دافعا لهم على تعلم العلوم سابقة الذكر مشافهة ملقنة على السنة الرواه ، وكان أهم ما تعلمه العرب الشعر والكتابة والخطابة حيث اشتهروا بطلاقة اللسان وقوة البيان : وسوف نشير الى كل من هذه العلوم بايجاز .

١ ـ **الكتابة** : كان البدو سكان أواسط الجزيرة وهم قبائل مضر وبعض القحطانيين ـ أميين ـ ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الانشائية الا بعد أن عرفوا الخط آخر عصور الجاهلية وكان الخط الانبارى الحيرى المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالخط الحجازى وهو أصل النسخ ؛ وكان يكتب به النذر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ويقال ان من بين من تعلم الخط من النساء فى مبدأ ظهور الاسلام هن الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس ، وأم كلثوم بنت عقبه ، وعائشة بنت سعد ، وكريمة

بنت المقداد وشميله القرشية العدوية من رهط عمر ، وحفصه بنت عمـــر بن الخطاب • وقد تعلم العـــرب الخط على أيدى اليهود وكان يسمى معلم الخط بالكاتب والمكان الذى يتعلم فيه العرب الخط باسم الكتاب .

٢ ــ **الشـــعر** : عرف العروضيون النظم بأنه الكـــلام الموزون المقفـــــى مقعدا ويرادفه الشعر عندهم ، اما المحققون من الادباء فيخصون الشعر على انه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع .

والعرب بفطرتهم مطبوعين على الشعر لبداوتهم وملائمة بيئتهم لتربية الخيال ، فالبدوى لحريته واستقلاله بأمر نفسه يغلب على احكامه الوجدان ويسلك اليه عن طريق الشعور ، ومعيشة البدوى فوق أرض الجزيرة العربية وسمائها الصافية وكواكبها الســـاطعة جلت لحسه مناظر الوجـود فكان لخياله من ذلك مادة لا ينضب معينها فهام بها فى كل واد وافاض منها الى كل مراد ، وكان له من لغتـــه وفصاحة لسانه وقدرته على التعبير أقوى ساعد على تعلم الشـــعر ، وكان اكثر العرب ينظمون الشعر وهم صغار فمن شب ولم تتفتق قريحته اعتبر ذلك نقصا فيه وعيبا على اهله ، فكان العرب لذلك يثيرون غيرة ابنائهم على اتقان الشعر ويحرضونهم على نظمه .

ويعتبر الشعر هو المظهر الحضارى البارز عند البدو من العرب لذا كان يحتل مكانة خاصة فى حياتهم فقالوا انه ديوان العرب ، والمصـــور لآمالهم وآلامهم وأيامهم وذكرياتهم فى نفوسهم وكان اذا نبغ شاعر فى القبيلة احتفل افرادها به وتناقلوا أخباره وتباهوا به على القبائل الأخرى ، وكان يعتبر الشـــعراء فى الجاهلية هم أعلم اهـــل زمانهم فى معرفة الأنساب والأخبار ومثالى القبيلة ومناقبها وكان الشـــــعر يستخدم فى أغراض شتى منها نشر عقائد القبيلة ، والوصـــايا بين الأهل والأبناء ، والتحريض على القتال والتغنى بالشـــجاعة ، والهجاء أو المدح وغيرها •

٣ ـ **الخطابة** : لما كان معظم العرب فى جاهليتهم قبائل متفرقة لا يربطها قانون عام ولا تضبطها حكومة منظمة وأن من شأن المعيشة البدوية شن الغارات لاقل الاسباب والدفاع عن الروح والعرض والمال والمباهاة بقوة العصبية وشرف النسب وكرم الخصال كانت الخطابة لهم ضرورية وهى فيهم فطرية غير أنه لم يصل الينا اخبار خطبائهم الاوائل او شيء عن خطبهم كما كان ذلك فى الشعر وذلك لاهتمامهم قديما بالشعر دون الخطابة ولصعوبة حفظ النثر ، غير ان اشتغال العامة والسفهاء بنظم الشعر والتكسب من ورائه اصبح الشعر مبتذلا فنبه بذلك شأن الخطابة واشتهر بها الاشراف وأصبح لكل قبيلة خطيب كما لكل قبيلة شاعر . واكثر ما كانت الخطابة فى التحريض على القتال والتحكيم وفى الخصومات واصلاح ذات البين وفى المفاخرات والمنافرات والوصايا وغير ذلك .

وخطباء العرب كثيرون من اقدمهم كعب بن لؤى ، وذو الاصبع العدوانى حرثان بن محرث خطيب يوم حرب الفجار وقس بن ساعدة الايادى خطيب عكاظ ، واكثم بن صيفى زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى وهم حاجب بن زرارة التميميان ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريان ، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريون ؛ وعمرو بن الرشيد السلمى ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى ، والحارث بن ظالم المرى .

٤ ـ **الانساب** : علم اشتهر به العرب ويتعرفون به القرابات التى بين القبائل وبعض فتعلق فروعها بأصولها . وقد دعتهم الى العناية بهذا العلم حاجتهم الى التناصر بالعصبية لكثرة حروبهم وتفرق قبائلهم وانفتهم من ان يكون لغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأسلافهم وممن اشتهر بمعرفة أنساب العرب ... دغفل بن حنظلة الشيبانى وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحمره ، وفى قريش أبو بكر الصديق ولهذا كانوا يحفظون أنسابهم .

٥ ـ **القصص والتاريخ** : هو معرفة أحوال السابقين وكانوا يعرفون منه ما كان عليه اسلافهم وبعض مجاوريهم من الاقوال المأثورة ووقائع أيامهم المشهوره كقصة الفيل وحرب البسوس وحرب الفجار .

٦ ــ **وصف الارض** : هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى اليهـا ومد عرف العـرب بشـــدة حذقهم بمعرفة بلادهم وكان للعـرب فى جاهليتهم وبخاصة الحجازيون رحلات واسفار برية وبحرية فى أوقات التجارة وأشـــهرها رحلة الشتاء والصيف الى الشام واليمن ووادى الكنانة وديار الرافدين ، ولا غرو أنهم كانوا يعرفون دروب هذه البلاد وطرقاتها والمعلومات الضرورية عنها مثل المسافة بينها وبين بلادهم وظروفهم المناخيـــة ومنتجـات بلادهم التى يســـتوردونها منهم أو يتبادلونها معهم .

٧ ــ **علم النجوم** : هو معرفة احوال الكواكب وقد برع العرب فى هـــذا العلم عن كل عـــلم ســـواه ، تعـــرفه عامتهم قبـــل خاصـــتهم للاهتداء به فى ظلمات البر والبحر ومعرفة التوقيتات وزمن الحج . وقد استمد العرب بعض معارفهم فى هذا العلم من الكلدانيين لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين العربية والكلدانية فى كثير من اسماء الكواكب والبروج . ومن اشهر اصحاب هذا العلم بنو حارثة بن كلب ؛ وبنى مرة بن همام الشيبانى .

٨ ــ **الطـــب** : كان العمل بالطب فى الجاهلية شرف وللطبيب مكانـــة كبيرة . قال المرتضى فى حديثه عن زهير بن جناب ، كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم ؛ والطب شرف ... ولم تكن معارف العرب فى الجاهلية عن الطب عن طريق تعلم الحقائق والنظريات ولاعلى سبيل التدريب، وانما توصلوا الى معظمها بالخبرة والتجربة وكان ينتشر بينهم كثير من الخرافات كايمانهم بأن دم السادة يشفى من الكلب وأن عظام الميت تشفى من الجنون ، وأن روحا شريرة حلت بالمريض ، ومن هنا جاء قول بن خلدون : « للبادية ..طب يبنونه فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير » .. ومن اشهر الاطباء فى الجاهلية الحارث بن كلده الثقيف وابن خزيم التيمى .

٩ ــ **الفراســـة** : هى الاستدلال بهيئة الانسان وشـــكله ولونه وقوله على اخلاقه وفضائله ورذائله . وقد نبغ فيها من العرب ما لا يحصى عددهم ولهم فى ذلك نوادر شتى .

١٠ ـ القيافـــة :

هى ضرب من الفراسة ، والقيافة نوعان :

النوع الأول : قيافة الاثر وهى الاهتـداء الى الشخص باثار أقـدامه ومعرفة طريقه ومكانه ، والاهتداء بآثار الأقدام على أربابها .

النوع الثانى : الاستدلال بهيئة الانسان وشـكل أعضائه على نسبه ، فقد كانوا يميزون بين أثر الرجـل والمرأة والشـيخ والشاب والأعمى والبصير والاحمق والحكيم ، واذا نظروا الى عدة أشخاص من اهل واحد ، ألحق الابن بأبيه والأخ بأخيه ، والقريب بقريبه ، وعـرفوا الاجنبى من بينهم وممن اشتهر بالقيافة بنو لهب ، وبنو مدلج .

١١ ـ الكهـانة والعـرافة :

وهى القضاء بالغيب وربما خصت الكهانة بالامور المسـتقبلة والعرافة بالامور الماضـية وطريقهم فى ذلك الاسـتدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الاتية : لمـا بينهما من المشابهـة الخفية ، وللعرب فى الكهان اعتقاد عريض لزعمهم أنهم يعلمون الغيب فيرفعون اليهـم أمـورهم للاستشارة ويستنفرونهم عن الرؤى ويستطبونهم فى أمراضهم ، ومن اشتهر من الكهان « شق أثمار » ، « وسطيح الذئبى » ، ومن الكواهن « طريفة الخـير » ، « وسلمى الهمدانية » ومن العرافين عراف نجد ، « الابلق الاسـدى » وعراف اليمامة « رباح بن عجلة » .

فالكهان عندهم هم أهل العلم والفلسفة والطب والقضاء والدين ، والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، جـاءتهم من بعض الأمـم المجاورة لهم وخاصة من الكلدانيين .

١٢ ـ الزجـــر :

وهو الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وسـائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال والاسترسال فيه ، من اشهر الزجارين « بنو

لهب ، وأبو ذؤيب الهزلى ومـرة الاسدى • ومن العرب من لم يعبـأ بالزجر وما شاكله « لبيد بن ربيعه » اذ يقول :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى ••
ولا زاجرات الطير ، الله صانع

تعليـــــق :

يتضح من الدراسة السابقة ان المجتمع العربى فى الجاهلية كما كان يتصف ببعض القيم الخلقية الفاضلة التى ميزته عن غيره من المجتمعـات مثل المروءة والشجاعة والكرم والانفـة وغيرها الا أن القيم الفاضـلة كانت قليلة بالنسبة لغيرها من القيم الرذيلة التى تفشت بين العـرب وتناقلها الابناء عن الاباء فالعـادات السـيئة والانحرافات فى العـلاقات والصـدى النفسى الذى خلفته الاعراف والتقاليد التى تعبر عن مادية المجتمـع وتحكم الانانية والمصلحة الشخصية الى جانب قسوة الحياة البدوية أو الصحراوية التى طبعت الافراد بطبائع خشنة وقلوب فظة وعقول جامدة ظهرت اثارها فى سلوكهم ، وفى المـادية التى سيطرت على تعاملاتهم فقطعت أوصـال الروابط الانسانية بينهم وعرف المجتمع العـربى وقتئذ بالقسـوة والظـلم والفوضى وتحكم السفهاء فى ذوى الاصالة والمروءة ، وتفشى الرذائل والمنكر والبغى والانحرافات الخلقية ، هذا غير الالحاد والكفر والشرك بوحدانية الله وتسلط التبعية السابقة على التفكير والسلوك .

وقد ورد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع عيوب العرب فى الجاهلية واخلاقياتهم الرذيلة واحكامهم المتخلفة فى قوله تعالى :

« أفحكم الجاهلية يبغـــون » (١) .

« إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية » (٢)•

« يظنون الله غير الحق ظن الجاهلية » (٣) .

ومعنى ذلك أن المجتمع العربى فى الجاهلية كان لابد ان يتغـير الى الوضع الانسانى المرغوب فيه ولابد ان يتحول من المـادية الى مجتمـع القيم الانسانية والروحية الفاضلة ولابد أن ينتقل من مرحلة التبعيـة والتقليد الى مرحلة التفكير والتحرر ، ولا يتحقق ذلك الا عن طريق وجـود نظام تربوى جديد .

---

(١) سورة المـائدة : آية ٥٠ .
(٢) سورة الفتح : آكة ٢٦ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٤ .